

بيانُ بعضِ المُرادِ في قوله سبحانه:

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه



هذا البحث مقتبس من كتاب
(هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)
من الصفحة ١٢٣ حتى الصفحة ١٢٧

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM

قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

والآن أعود إلى أصل الموضوع حول عظمة القرآن الكريم ،
وعظمة إعجازه فأقول: إذا علمت أيها العاقل اللبيب ، عظمة هذا
القرآن الكريم ، وعظمة إعجازه؛ علمت عظمة المتكلم به ألا وهو
الله رب العالمين جلّ جلاله ، وعلمت حقاً صدق نبوة سيدنا محمد
صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وأنه رسول الله حقاً ، فإن هذا القرآن
الكريم هو بيّنة ساطعة ، وحجة قاطعة ، تُثبت أن محمداً رسول الله
تعالى ، جاء بهذا القرآن الكريم من عند الله تعالى .

ولذلك أقام الله تعالى الحجة على العباد ، وأفحم أهل الكبر
والعناد الذين راحوا ينكرون نبوة سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله
وسلّم ، ورسالته العامّة لجميع العباد والبلاد ، فبيّن لهم جميعاً أن

محمداً هو رسول الله تعالى ، قد جاء ببينته على ذلك ، وأن قصته ليست هي دعوى رسالة مجردة عن الحجة ، بل هي ثابتة بالبينة الدامغة والحجة البالغة ، كما أن دعوته إلى الله تعالى هي على نور وبصيرة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ الآية .

وإلى ذلك كله يشير قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

فهذا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه على بينة من ربه ، ثبت قطعاً أنه رسول الله تعالى حقاً ، وهذه البينة هي القرآن العظيم الذي جاء به ، فإنه أعظم بينة ، وأجمع وأقطع بينة ، وأسطع بينة ، وإليها المنتهى وليس لها انتهاء .

والبينة في الأصل اللغوي هي : الدلالة الواضحة ، عقلية كانت أو حسية ، وقد تُطلق على الدليل مطلقاً ، وهاؤها للمبالغة أو النقل .

وتنوين البينة في الآية الكريمة للتعظيم ، لأن بينة القرآن هي أعظم البينات ، وأيُّ بينة أعظم من هذه : القرآن العظيم الذي أعجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل سورة واحدة ، وقد تحدى ويتحدى جميع العالم ، وأعلن عجزهم عن الإتيان بمثله .

ويدل على أن المراد بالبينة هي القرآن العظيم ، السباق السابق وهو التحدي في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ

مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧﴾ .!؟

كما يدل على ذلك - أي: المراد بالبينة القرآن الكريم - اللحاق بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْنَا مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ الآية ، وهذا نظير قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْنَا مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا يُسْذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرِي لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

ثم قال سبحانه: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أي: ويتلو هذا القرآن المدلول عليه بكلمة ﴿ بَيِّنَةٌ ﴾ يتبعه في تصديق هذا الرسول الكريم ، وحقية نبوته ﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وهو تلاوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهذا القرآن الكريم ، في حين أنه أميٌّ لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ، وليس له سابقة دراسة كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُونَ ﴾ .

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .!؟

والمعنى: أني لبثت فيكم قبل أن ينبئني الله تعالى أربعين سنة ، ولم أتل عليكم شيئاً من ذلك ، لأنه لا علم لي بذلك ، حتى إذا بلغت الأربعين ، فإن الله تعالى نبأني وأنزل عليّ هذا القرآن الكريم ، وأقرأني ، وجمعه لي في صدري ، وأمرني أن أتله

عليكم ، فاعقلوا تعلموا صدق نبوتي ، وحقية رسالتي قطعاً صلّى
الله عليه وآله وسلّم .

ويجوز أن يُراد بالشاهد منه صلّى الله عليه وآله وسلّم سنته ،
وأحاديثه الشريفة ، فإنها عن وحي نبويٍّ من الله تعالى ، كما قال
صلّى الله عليه وآله وسلّم : «ألا وإنّي أُوتيتُ الكتاب ومثله معه»
الحديث رواه أبو داؤد وغيره .

فالبينة في الآية الكريمة هي القرآن الكريم ، والشاهد منه
أحاديثه النبوية ، وكلاهما عن وحي من الله تعالى ، لكن هناك
الوحي القرآني وهناك الوحي النبوي ، والقرآن الكريم معجز ،
والحديث النبوي جامع للكلم ، وهو المسمى بالحكمة ، قال الله
تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ .

وهو الميزان المقرون ذكره بالقرآن ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ كما بينتُ ذلك في مواضع متعددة .

ويجوز أن يراد بالشاهد منه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ما أجراه
الله تعالى على يده صلّى الله عليه وآله وسلّم من المعجزات وخوارق
العادات ، وهذا باب واسع ، تدخل فيه المعجزات السماوية
والأرضية ، والشجرية والجمادية ، والإخبارات الغيبية ، وما جاء
في تكثير الطعام والشراب ؛ إلى ما وراء ذلك ، وما جاء في كفاية
الله تعالى له شرّ أعدائه ، وفي ذلك يقول سبحانه : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ
الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

وما جاء من وقاية الله تعالى له وحفظه من أعدائه ، وفي ذلك

يقول سبحانه: ﴿ثَانِيكُ أَتْنَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ .

وما جاء في انشقاق القمر تصديقاً لنبوته واستجابةً لدعوته ،
وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ الآيات .

وما جاء من نصر الله تعالى له على أعدائه أولي العُدَدِ والعُدَّةِ ،
وانهزامهم ووقوع الخيبة عليهم ، وفي ذلك يقول سبحانه عما أيده
به يوم بدر: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ الآيات
الكريمة ، ويوم حنين ، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ الآيات .

وهناك معجزات ومعجزات ، كلها شواهد صدق وأدلة حق ،
تُثبت أن سيدنا محمداً هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حقاً
لا ريب فيه .

وهذه الوجوه التي ذُكرتْ حول تفسير الشاهد منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلِّهَا حق ، وتدخل كلها تحت قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ
شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ ويكون المعنى: ويتلوه شاهد منه إثر شاهدٍ وهكذا
دَوَالِيكَ ، وهذا له نظائر في فصيح لغة العرب .

* * *